في صلب الكتاب ، لكنه أقل مقاومة عندما يأتي الامر الى المصادر المثبتة في نهاية الكتاب أو على هامش الصفحات ، مع ان مسؤولية الخطأ تقع أيضا عليه وليس على عاتق المؤلف الاول فحسب . فمهمة الباحث ان يغربل معلوماته ويتثبت من صحتها قبل الاستعانة بها في بحثه . فالخطأ المقصود او غير المقصود يجب الا يتفاقم في البحوث التي اخذت عن المصدر الاول ، ولذا المطلوب من الباحث ان يضع المعلومات تحت مجهر الفحص بدلا من منح الثقة العمياء للمرجع الذي بين يديه .

سبق أن ذكرنا تفضيل الباحث العربي للمصادر المطبوعة على المصادر الحية . فهو اجمالا يرتاح الى الكتابة عن مقررات الامم المتحدة ، وسياسة امريكا تجاه القضية ، وصادرات اسرائيل الخ .. لان هذا النوع من البحث لا يحتم عليه اكثر من مراجعة الكتب والصحف . أما المواضيع التي تتطلب الحصول على شهادات شخصية ، فانه يتردد في خوض غمارها ، وهذا ما يفسر لنا غياب كتب من نوع « يا اورشليم » من المكتبة العربية . على انه انصافا للباحث العربي ، يجب الاشارة الى اختلاف ظروفه عن ظروف الكتاب الاوروبيين والامريكيين . فالشعب الفلسطيني مشتت في ارجاء الوطن العربي ، وفي دول عديدة خارجة ، وليس من السهولة على الباحث ، بموارده المالية المحدودة ، التنقل من قطر الى قطر لمقابلة أصحاب الشهادات . اما بالنسبة للمؤلف الاوربي او الامريكي ، فدار النشر التي التزمت بنشر كتابه العتيد تتكفل بتغطية نفقاته أثناء جمعه للمعلومات ، وهي التي تضمن له التفرغ اللازم . ثم ان دور النشر الغربية ليست مصادر التمويل الوحيدة للباحث ، فهناك ايضا الجامعات والمؤسسات الثقافية والدوائر الرسمية التي تقدم المنح للمؤلفين وتتيح لهم تنفيذ مشاريعهم الكتابية، اما لخدمة الثقافة بوجه عام ، او للتوصل الى اغراض سياسية معينة .

ما هي مشاكل الباحث مع صاحب الشهادة ؟

المعروف عن المواطن العربي انه عموما لا يكره الكلام ، كما ان الصراحة لا تنقصه . الا انه يصمت عندما يرى امامه قلما على وشك تدوين حديثه. انه يصاب بخوف غريزي يعقد لسانه ويجعله يلوذ بالسكوت حتى وان كانت معلوماته من النوع الذي لا يمكن أن يجلب له أي أذى . هذا هو المواطن العادي ، فكيف بالسياسي او المسؤول ؟!

وقد يظن الباحث في البداية ان خوف الناس من نشر حديثهم ناشىء عن خشيتهم من تعرضه للتحريف عند النشر ، فيحتاط لذلك ويحمل معه جهاز تسجيلي الى مكان المقابلة. الا انه يفاجأ عندما يجد ان فكرة التسجيل تضيف الى ذعرهم ، باعتبار ان تسجيل الحديث معناه قطع خط الرجعة عليهم فيما لو ندموا على « صراحتهم » فيما بعد ، وقرروا نفي بعض ما ورد على لسانهم ، او حتى نفي المقابلة كلها ، جملة وتفصيلا . واجمالا ، يتردد اصحاب الشهادات حتى في التوقيع بامضائهم على الصفحات التي نقل اليها حديثهم ، وذلك للسبب نفسه .

اذن فالحصول على الشهادات الشخصية يتطلب الكثير من الدبلوماسية والمرونة ، ونجاح المقابلة يعتمد في نهاية المطاف على التجاوب بين الطرفين ، عندما يثق صاحب الشهادة في امانة الباحث واهمية عمله ، وينطلق في الحديث دون تهيب .

وفيما يلي بضع نقاط رئيسية يمكن للباحث ان يسترشد بها في اداء مهمته :

اولا — من الضروري جدا أن يتقيد الباحث بقواعد المهنة واخلاقيتها . وهذه تحتم عليه الاتي :

أ — يتولى ابلاغ صاحب الشهادة من البداية ان حديثه سينشر ، ويطلب اذنا بذلك منه . اما استدراجه الى الحديث دون اخباره بان ما سيتفوه به سينشر ، فأمر مرفوض تماما .